

كيف ندرس حقوق المرأة؟



التفاوت بين الرجل والمرأة:

من المعروف في الإسلام أنّه لا يوجد فارق بين الرجل والمرأة، بل هناك تفاوت بينهما في الاستعدادات الجسمية والنفسيّة، من دون أن يكون لهذا التفاوت ارتباط بالنقص أو الكمال، بل هو تعادل وتناسب، فقد استهدف قانون التكوين بهذا التفاوت جعل تناسب أكبر بين الرجل والمرأة اللذين خُلقا لحياة مشتركة، وما حياة العزوبية إِلا انحراف عن قانون التكوين.

أشكال التفاوت:

إنَّ البحث عن وجود تفاوت بين الرجل والمرأة ليس جديداً، بل نجده في عمق التاريخ بما لا يقلُّ عن 2400 سنة، ففي حين يرفضون أفلاطون وجود تفاوت كيقي بين الرجل والمرأة، يؤكّد تلميذه أرسطو وجود هذا التفاوت حيث يقول: تختلف نويعَة استعدادات المرأة عن الرجل كما تتفاوت الوظائف والمسؤوليات التي وضعها قانون التكوين على عاتق كلٍّ منهما، وتختلف الحقوق التي يستدعياها لكلٍّ منها في موارد عدَّة.

وقد رجّح العلماء وال فلاسفة الذين جاؤوا بعد أرسطو نظرية آنـه على نظريات أفلاطون.

وأمّا اليوم، وفي ظلِّ التقدِّم العلمي أصبح التفاوت بين المرأة والرجل محدّداً واضحاً، وذلك اعتماداً على الملاحظة، والتجربة، والإحصاء، والدراسة الميدانية.

ونذكر مجموع الاختلافات القائمة التي وقعت بأيدينا مما ذكره المحققـون:

من الزاوية الجسمية:

-1 الرجل بشكل عام ضخم البنية، والمرأة ليست كذلك.

-2 الرجل أخشن والمرأة ألطف، صوت الرجل أضخم وأكثر خشونة، وصوت المرأة ألطف وأكثر نعومة.

-3 المرأة أسرع نموًّا من الرجل. إلا أنَّ النموَ العضلي للرجل أكبر من نموَ المرأة العضلي والبدني.

-4 المرأة أسرع إلى البلوغ الجنسي من الرجل، كما أنَّها أسرع منه في العجز عن الإنجاب.

-5 البنت أسرع من الصبيِّ إلى النطق.

-6 متوسٌط دماغ الرجل أكبر من متوسٌط دماغ المرأة، معأخذ نسبة الدماغ إلى مجموع البدن بعين الاعتبار.

-7 رئة الرجل تستوعب حجمًا أكبر من الهواء.

-8 ضربات قلب المرأة أسرع من ضربات قلب الرجل.

من الزاوية النفسية:

-1 يميل الرجل أكثر من المرأة إلى الألعاب الرياضية والميد والأعمال الحركية.

-2 إحساسات الرجل معارضة وحربية وإحساسات المرأة سلمية، تُحجم المرأة عن استخدام العنف ضد الآخرين ومع نفسها، ولذا تنخفض نسبة الانتحار بين النساء. والانتحار عند الرجال أبغض حيث يتوصّل هؤلاء بإطلاق النار والقذف بأنفسهم من شاهق، بينما تتوصّل النساء بالأقراص المنوّمة والمواد المخدّرة.

-3 المرأة أكثر انفعالاً من الرجل؛ أي أنَّها تخضع تحت تأثير أحاسيسها بشكل أكبر من الرجل.

-4 تميل المرأة بشدَّة إلى الجمال والزينة والأزياء المختلفة على عكس الرجل.

-5 المرأة أكثر حيطة من الرجل وألسَن، وأكثر خوفاً.

-6 عواطف المرأة أموميَّة، ويظهر هذا الإحساس منذ مرحلة الطفولة، وللمرأة علاقة أكبر بالأسرة وهي تلتقط بشكل غير شعوري لأهمية محيط الأسرة قبل الرجل.

-7 لا تصل المرأة بشكل عام حدَّ الرجل في العلوم البرهانية والمسائل العقلية الجافة، إلا أنَّها لا تقلُّ عنه في مجال الأدب والفن وسائل المسائل المرتبطة بالذوق والعاطفة.

-8 الرجل أكبر قدرة على كتمان السرّ، وكتمان الأخبار المزعجة في داخله ولذا هو أسرع للابتلاء بالمرض الناشئ جرّاء كتمان السرّ.

من زاوية العواطف المتبادلة:

-1 يبتغي الرجل مصاحبة المرأة وأن يجعلها تحت تصرُّفه، والمرأة تريد امتلاك قلب الرجل، والسيطرة عليه عن طريق قلبه، فهو يريد التسلُّط عليها من فوق وهي تريد النفوذ إلى داخل قلبه.

تريد المرأة من الرجل الشجاعة والرجلة، وهو يريد منها الجمال والعاطفة.

كيف ندرس الحقوق؟

هناك أمراً يجب ملاحظتها عند دراسة حقوق المرأة هما:

-1. التناقض لا التساوي:

على ضوء ما تقدّم من الفرق بين الرجل والمرأة، يتضح أنّ ما يناسب المرأة قد لا يكون مناسباً للرجل والعكس صحيح، وبناءً عليه فليس المطلوب أن نُسري واقع المرأة إلى الرجل أو واقع الرجل إلى المرأة، بل المطلوب أن نعطي كلاًّ منها ما يناسبه ويناسب صفاته الجسمية والنفسية، فالمطلوب هو التناقض لا التساوي بينهما.

النظرة الشمولية للأحكام:

النظرة المجترة قد تكون سبباً أساسياً في عدم فهم التشريع الإسلامي، فالإسلام صاحب التشريع الشامل، فإذا أردنا أن ننظر إلى مسألة ما فعلينا أن ننظر إليها ضمن منظومة الشريعة كلّها، لا أن ننظر إليها بقطع النظر عن كلّ ما يتعلق بها، لذلك عندما نقرأ هذه الحقوق التي هي محلّ استفهام علينا أن نضعها ضمن ما يحفلّ بها من مسائل مرتبطة.

على ضوء هذين الأمرين نُلقي الضوء على بعض المفردات المثارة حول حقوق المرأة:

تعدد الزوجات:

لاشكّ أنّ تعدد الزوجات أمر مشروع وجائز في الإسلام، فبالإضافة إلى قوله تعالى:

(وَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا تُقْسِطُوا فِي إِلْيَاتَامَيْ فَإِنْ كَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ الْزَّيْنَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ وَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكْتُمْ أَيْمَانَكُمْ ذَلِكَ أَدْرَزَ أَلَا تَعُولُوا) (النساء/ 3).

هناك سيرة وتاريخ طويل لل المسلمين الذين مارسوا الزواج المتعدد دون أن يعترض عليهم النبيّ (ص) أو الأئمة (عليهم السلام) في ذلك، بل حتى النبيّ (ع) والأئمة (عليهم السلام) كانوا يكتفون في بعض المراحل بزوجة واحدة وكأنّوا يتزوجون أكثر من واحدة في مراحل وظروف أخرى. لذلك فإنّ التشكيك برأي الإسلام بتعدد الزوجات مجرد مكايدة لا يستقيم عليها دليل.

والسؤال في هذا الموضوع ليس عن رأي الإسلام فهو واضح، ولكنّ السؤال عن حكمه بتعدد الزوجات، فلماذا شرع الإسلام مثل هذا الأمر؟

إنّ بقاء تعدد الزوجات ضمن الأمور الجائزة هو أمر ضروري لتحقيق العدل بين النساء من جهة، ولحلّ المشكلات الاجتماعية التي قد تتفاوت من جهة أخرى، فهناك مشكلة تتشكل من عنصرين:

- زيادة نسبة النساء على الرجال، باعتبار أنّ الموت يصيب الرجال أكثر مما يصيب النساء بكثير خصوصاً في سنّ الشباب نتيجة الحروب التي يواجهها الرجال عادة، ونتيجة الخروج إلى العمل وغيرها من الأخطار التي يتعرض لها الرجل أكثر مما يتعرض لها المرأة.

حقٌّ كلٌّ امرأة في تشكيل أسرة على أساس شرعيٍّ قانونيٍّ.

فللمرأة حقٌّ في تشكيل أسرة خاصة بها، ولو كان عدد الرجال كعدد النساء لأمكن أن يقال إنَّ حقَّ المرأة هذا محفوظ حتى مع عدم إمكانية تعدد الزوجات، ولكننا نعلم من خلال الإحصاءات العلمية خلاف ذلك، فعدد النساء أضعاف عدد الرجال، وإغلاق باب تعدد الزوجات سيعني بالضرورة سد الباب على كثير من النساء ومنعهنَّ من حقهنَّ في تشكيل الأسرة، لذلك فإنَّ المطالبة بمنع تعدد الزوجات هو نوع من الأنانية الفردية التي تقع بها المرأة المتزوجة على حساب آخريات لن يكون الزواج ممكناً لهنَّ.

والشرع بنظرته المتوازنة التي تريد أن تحقق العدالة على مستوى إتاحة الفرصة على الأقلٍّ، ترك هذا الباب مفتوحاً.

قوَّامِيَّةُ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ:

يقول تعالى في كتابه المجيد: (اللَّهُ جَالُ قَوْمَ امْوَانَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَرْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...) (النساء / 34).

ولابدَّ لتوضيح هذه العبارة من الالتفات إلى أنَّ العائلة وحدة اجتماعية صغيرة، وهي كالجتماع الكبير لابدَّ لها من قائد وقائم بأمورها، وترتکز قوَّامِيَّةُ الرَّجُلِ على ركيزتين:

1- (.. بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ...) وهذا التفضيل ليس تفضيلاً بالقيمة المعنوية وإنما المقصود أنَّ هناك ميزة عملية يمتاز بها الرجل يجعله مؤهلاً لموضوع القوَّامِيَّة، وهذا له علاقة بالصفات الموجودة عادة عند الرجل والأخرى الموجودة عند المرأة، فالمرأة تكون عادة كثيرة الانفعال نتيجة العاطفة الجياشة الموجودة عندها بخلاف الرجل.

2- (.. وَبِمَا أَرْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...). فنفقة البيت واجبة على الرجل لا على المرأة، ومن الطبيعي أنَّ من يتحمّل وجوب الإنفاق على أي مشروع يكون الأحقُّ بالإشراف عليه.

الإرث:

يقول تعالى في كتابه العزيز:

(لِلرِّجَالِ زَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأُقْرَبُونَ وَلِلْنِسَاءِ زَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأُقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ أَوْ كَثُرَ زَصِيبًا مَفْرُوضًا) (النساء / 7).

لقد شرّع الإسلام الإرث للمرأة كما شرّعه للرجل، وجعل لكلٍّ منها نصيباً، ولكن هناك ميزة في إرث الأولاد، هي أنَّهم لا يرثون بالتساوي، فالذكر يأخذ ضعف ما تأخذه الأنثى، يقول تعالى:

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذِّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ...) (النساء / 11).

فلمَّاذا هذا التفاوت بينهما؟

السبب في هذا التفاوت يظهر من خلال ملاحظة أمرين:

1- الرجل مكلاًف بالصرف على العائلة وتأمين حاجياتها المادية، والمرأة ليست مكلاًفة بذلك، بل تؤمن حاجياتها الشخصية على عاتق الرجل أيضاً سواء كان أباً أو زوجاً.

ويقول تعالى: (لَا يُكَلِّفَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة/ 286).

فما دام الرجل مكلاًف بالصرف على العائلة فمن الطبيعي أن يلاحظ ذلك في تقسيم الموارد، حتى يكون التقسيم متلائماً مع المسؤوليات الملقة على عاتق كلٍّ منهما، فليس غريباً أن يرث الرجل ضعف ما ورثه المرأة.

2- الرجل هو الذي يدفع المهر في عقد الزواج لمصلحة المرأة، وهذا أيضاً يؤيد في مقابله وجود مميّزات في الموارد ليتحقق الانسجام بين الموارد والمصاريف.

فإنّ ما ورثه سيعود الكثير منه للمرأة كابنة، أو زوجة واجبة النفقة، فيما يبقى المال الذي ورثته المرأة خالصاً لها من دون أن يشاركتها فيه أحد.

فعندما نقرأ مسألة الإرث كمورد من الموارد المالية، علينا أن نقرأه ضمن منظومة الموارد والمصاريف في النظام الإسلامي ليتحقق نوع من التكافؤ بينهما.

خلاصة الدرس:

هناك فوارق في الاستعدادات الجسمية والنفسية بين الرجل والمرأة، من دون أن يكون لهذا التفاوت ارتباط بالنقص أو الكمال، بل هو تعاون وتناسب، فقد استهدف قانون التكوين بهذا التفاوت جعل تناسب أكبر بين الرجل والمرأة اللذين خلقا لحياة مشتركة.

إنّ البحث عن وجود تفاوت بين الرجل والمرأة ليس جديداً، بل نجد في عمق التاريخ بما لا يقلّ عن 2400 سنة.

الناظرة المجترة قد تكون سبباً أساسياً في عدم فهم التشريع الإسلامي، فالإسلام صاحب التشريع الشامل، وعليها أن ننظر إلى مسألة المرأة والرجل، ضمن منظومة الشريعة كلّها لا أن ننظر إليها بقطع النظر عن كلّ ما يتعلق بها.

التفضيل للرجل على المرأة في قوله تعالى: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)، ليس تفضيلاً بالقيمة المعنوية وإنما المقصود أنّ هناك ميزة عملية يمتاز بها الإنسان يجعله مؤهلاً لموضوع القوّامة، وهذا له علاقة بالصفات الموجودة عادة عند الرجل، والأخرى الخامسة بالمرأة.

هناك ميّزة في إرث الأولاد، هي أرثهم لا يرثون بالتساوي، فالذكر يأخذ منعف ما تأخذه الأنثى، وهذا التفاوت له أسباب منها: أنّ الرجل مكلاًف بالصرف على العائلة وتأمين حاجياتها المادية، والمرأة ليست مكلاًفة بذلك وأنّ ما ورثه سيعود الكثير منه للمرأة كابنة أو زوجة واجبة النفقة، فيما يبقى المال الذي ورثته المرأة خالصاً لها من دون أن يشاركتها فيه أحد.

نموذج يحتذى به:

أُم كلثوم:

هي أُم كلثوم ابنة عليٰ ابن أبي طالب (ع) وابنة السيدة الزهراء (ع).

امرأة مجاهدة بالقول والعمل، هي التالية للعقيلة زينب (ع) سدّاً وفضلاً، كما أنّها شريكتها في تحمل العبء الذي نهضت به بعد استشهاد الإمام الحسين (ع).

دخلت السيدة أُم كلثوم الكوفة في عهد أبيها أمير المؤمنين (ع)، بعد أن جعلها عاصمة لدولته، فعاشت في بيته المتواضع وتعلّمت منه معالي الأخلاق، إِلَّا أنّها لمّا دخلت الكوفة للمرة الثانية دخلتها أسيرة مع سبايا كربلاء، وقد حُمل معها رأس أخيها الحسين (ع) ورثوس الشهداء، والناس تتفرج عليهم فهالها الوجد ممّا رأت، من شفقة الناس عليهم وإعطائهم الخبز والتمر للأطفال فأخذت تأخذ من فم الأطفال وأيديهم الصدقات وهي تقول للناس:

"يا أهل الكوفة إنّ الصدقة علينا حرام".

ثمّ خطبت فيهم خطبة نذكر منها:

"يا أهل الكوفة سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وانتهيتم أمواله وورثتموه، وسببتم نساءه ونكتبتموه فنبدّاً لكم وسحقاً، ويلكم أندرتون أي دواه دهتكم...".

فكانت خطبها في طريق السي خطباً فاضحة للسياسات الخبيثة التي تأمرت على الإسلام ورموزه. وقد بثّت بين الناس أشعاراً تهيج فيها العواطف لكي تقوم الأُمّة من رقدتها لتجابه ظلم الأمويّين ومن تلك الأشعار:

فنحن الصائعتات بلا كفيل
ونحن السائرات على المطايا
ونحن بنات ياسين وطه
ألا يا جدنا قتلوا حسينا
ألا يا جدنا بلغت عدانا
ونحن النائعتات على أخيينا
نشال على جمال المبغضين
ونحن الباكيات على أبيينا
ولم يرعوا جناب الله فينا
مناها واستفدى الأعداء فينا

فهذه أُم كلثوم المرأة التي تعلّم النساء كيف يكون الجهاد بالكلمة وال موقف.

المصدر: كتاب مكانة المرأة ودورها / سلسلة المعارف الإسلامية